ياءات القرآن الكريم بين الحذف والقلب والتسكين
– دراسة صوتية –

زيد القرالة *

تاريخ وصول البحث: 2007/4/12م تاريخ قبول البحث: 2008/3/19م

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على نماذج من (الياء) في القرآن الكريم بوصفها ظاهرة لغوية لافتة من حيث الأداء النطقي، وصورها المرسومة، وتعدد آراء العلماء فيها؛ فقد اختلف العلماء في أداء الياء من حيث الحذف والقلب والتسكين، واختلفوا أيضاً في ربط المنطوق بالمرسوم وتعليل ما بينهما من انسجام أو فجوة.

وتحاول هذه الدراسة كشف اللبس، وإزالة الخلط الذي اكتنف تفسير التشكيل اللغوي لصوت الياء وما رافقه ووقع فيه من تغير واختلاف في الأداء والرسم.

ويشكل اللبس في فهم المصطلحات ودلالتها المرتبطة بوظيفتها اللغوية السبب الرئيس في الخلط الحاصل في هذه الظاهرة؛ ولذلك فإن هذه الدراسة ستحاول تحديد هذه المصطلحات، وربطها بتفاصيل الظاهرة بالتطبيق على أمثلة من الآيات القرآنية في سياقات مختلفة.

Abstract

This study discuses three phonological cases of Ya' in Qur'an. They are deletion, inversion, and quiescence of Ya', as presented through the various contexts of Qur'an. Furthermore, the study investigates the linguistic formation of Ya', and it clarifies the difference occurs on pronounced version of Ya' and its scripted form. This study, to achieve its objectives, it draws upon a descriptive method, and it reviews points of old Arab linguists and reciters. The study finds out reasons behind linguists debates about the realization of Ya' and its phonological conditions. In addition to that, it demonstrates factors caused misunderstanding of correlation between Ya' pronunciation and its script among linguists.

* أستاذ مساعد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت.

مدخل:

تمثل الياءات باباً مشتركاً بين اللغويين والقراء من حيث دراستها، ورصد ما يطرأ عليها من تغيرات، ولما كان هذا الباب ينطوي على جملة من الملاحظ اللغوية، ويتضمن جملة من الوجوه في الأداء والرسم القرآني فقد عزمت الأمر على أن أقف على نماذج من تلك الوجوه، وأجعلها موضوع بحثي هذا؛ لأرصدها، وأحاول تفسير تلك الوجوه والفروق برؤية لغوية حديثة.

وقبل أن أبدأ عرض تلك الوجوه لنماذج من ياء الإضافة في القرآن الكريم فلا بد من تقديم لمحة تبين منطلق العلماء في تحديدها وتسميتها، إذ تختلف نظـــرة اللغويين لها عن نظرة القراء؛ فقد نظر اللغويون لهذه الياءات من زاوية عملهم، وطبيعة اهتمامهم، فأطلقوا عليها (ياءات الإضافة) من منطلق موقعها الإعرابي، فقد ورد ذكرها عند سيبويه بقوله: "اعلم أن علامة إضمار المنصوب المتكلم (ني)، وعلامة إضمار المجرور المتكلم (الياء). ألا ترى أنك تقول إذا أضمرت نفسك وأنت منصوب: ضربني وقتلني، وإنّي ولعلّني، وتقول إذا أضمرت نفسك مجروراً: غلامي، وعندي، ومعي ..."(1) ومن نص سيبويه السابق يتبين أن النحاة أطلقوا على ياء المتكلم عدة أسماء، وذلك

تبعاً لموقعها الإعرابي، أما مفهوم ياء الإضافة عندهم (أي اللغويين) فيقتصر على (ياء المتكلم) في**حالة الجر**، ويؤكد ذلك أن النحاة فصّلوا في ياء الإضافة في مؤلفاتهم ضمن باب المجرورات، أما حالة كونها منصوبة فقد عالجوها في أبواب أخرى، ومن هنا فإن مرجعية النحاة في دراسة (ياء الإضافة) وتحديدها بالياء المجرورة تقوم على أساس إعرابي وموقعي.

أما ياءات الإضافة عند القراء فإن مفهومها وتحديدها ينطلق من مرجعيتهم في ذلك، وهي دلالتها على المتكلم؛ ولذلك فهم يطلقون (ياء الإضافة) على ياء المتكلم حال اتصالها بالاسم والفعل والحرف، وقد وقف عليها القراء وعلماء القراءات ونصوا عليها وفصلوا فيها؛ فهذا ابن الجزري يقول: "وياء الإضافة عبارة عن ياء المتكلم، وهي ضمير يتصل بالاسم، والفعل، والحرف؛ فتكون مع الاسم مجرورة المحل، ومع الفعل منصوبته، ومع الحرف منصوبته ومجرورته بحسب عمل الحرف، نحو: نفسي وذكري وفطرني وليحزنني وإني ولي وقد أطلق أئمتنا هذه التسمية عليها تجوزاً مع مجيئها منصوبة المحل غير مضاف إليها، نحو: إني وأتاني، والفرق بينها وبين (ياءات الزوائد) أن هذه (الياءات) تكون ثابتة في المصحف وتلك محذوفة، وهذه (الياءات) تكون زائدة على الكلمة، أي ليست من الأصول؛ فلا تجيء لاماً مع الفعل أبداً . . . وياء الزوائد تكون أصلية وزائدة ... وهذه الياءات (أي ياءات الإضافة) الخلاف فيها جارٍ بين الفتح والإسكان، وياءات الزوائد الخلاف فيها ثابت بين الحذف والإثبات ...)[2].

إن الخلاف بين العلماء في (الياء) من حيث الإثبات والحذف، أو الفتح والإسكان يحتاج إلى وقفة خاصة تبين فهمهم، ومدى وعيهم لحقيقة الإثبات والحذف، وحقيقة الفتح والإسكان؛ فمن نصوص القدماء يتبين أن فهم الحذف لديهم يدل على حذف الياء، وإبقاء الكسرة قبلها للدلالة عليها، أي إنهم يقررون مسبقاً وجود كسرة قبل ياء المتكلم تدل على الياء المحذوفة، وهذا رأي فيه نظر؛ فقد أشار العلماء في العصر الحديث إلى فهم القدماء المذكور وعدم دقته، يقول إبراهيم أنيس مبيناً عدم دقة القدماء في ذلك: "ولكنّ القدماء ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أنّ هناك حركات قصيرة قبل حروف المدّ، فقالوا مثلاً: إن هناك فتحة على التاء في (كتاب)، وكسرة تحت الراء في (كريم)، وضمة فوق القاف في (يقول) والحقيقة أن هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع ... ويظهر أن الكتابة العربية في صورتها المألوفة قد جعلت القدماء يتوهمون وجود حركات قصيرة في مثل هذه المواضع[3].

ولم يقف الأمر عند إشارة إبراهيم أنيس، بل أشار غيره من العلماء إلى وقوع القدماء في هذا اللبس، وهذا ما سيأتي تفصيله في الحديث عن حقيقة (الياء والواو) في المطلب الأول من هذا البحث، ومن هنا فإن الكسرة الباقية للدلالة على الياء ليست الكسرة التي توقعها القدماء قبل الياء، بل هي بعض الياء التي حذفت بوصفها صوت مدٍّ وليست صوتاً صامتاً (شبه حركة) كما فهمه القدماء بسبب طبيعة الرسم.

وأحسب أن التصور في فهم حقيقة هذه الأصوات وعدم التفريق بين أصوات المدّ وأصوات اللين لا يقتصر على القدماء؛ فهذا باحث حديث يتبنى هذا التصور بقوله: " ... وقد ساوت العربية في الإتيان بضمير المخاطبة مرة بالياء ومرة بالكسرة، فدل ذلك على أنها صوت واحد تفاوت طوله من موضع لآخر، كما يتفاوت طول الياء نفسها من موضع لآخر، فالياء في كلمة (طويل) يزيد طولها عنها في كلمة (سيف)"[4]. وهذا النص يتضمن خللاً واضحاً وخلطاً في التفريق بين (ياء المد) و(ياء اللين)؛ وهذا واضح في مثال المقارنة الذي وضعه عندما قارن بين الياء في (طويل) وهي كسرة طويلة، والياء في (سيف) وهي صامت وجزء من بناء الكلمة.

ووقع في هذا الوهم أيضاً الشيخ (محمد محيي الدين) عندما علق على بيت الإنصاف:

"فَمَا وجَدَ النَّهديُّ وَجداً وجدتُه
ولا وجد العذريُّ قبلِ جميل

فعلق قائلاً: حذف ياء المتكلم مكتفياً بالكسرة التي قبلها للدلالة عليها ... "[5]. فهو يرى أن ياء المتكلم حذفت كلياً، والكسرة الموجودة هي موجودة أصلاً قبل الياء، وهذا تصور ساور الشيخ أخذاً برأي القدماء وجرياً على مذهبهم.

وكما ظهر عدم الوضوح عند المتقدمين وبعض المحدثين في التفريق بين الياء المدّيّة، والياء صوت اللين أو الصامت، فقد وقع اللبس أيضاً في تحديد المحذوف وحقيقة الحذف، فلم يفرقوا بين الحذف الكلي والتقصير الذي طال صوت المد.

وإذا كان المتقدمون وبعض المحدثين قد التبس عليهم فهم الحذف والإثبات، فقد وقع الأمر نفسه في فتح الياء وتسكينها؛ فالفتح والتسكين مصطلحان يطلقان على الياء التي تمثل صوتاً صامتاً أو شبه حركة، إلا أنهم تعاملوا معهما على أنهما صوت واحد قد يفتح وقد يسكّن، وهذا فهم قد نخالفه؛ إذ الياء المدية لا تفتح ولا تسكن لأنها حركة، والحركة لا تحرّك، ولا تسكن؛ لأن تسكينها يعني أنها كانت محرّكة وسلبت حركتها، ولم يتنبه المتقدمون إلى أنّ ياء المتكلم في حقيقتها كسرة طويلة، وقد تحرك بالفتح و تقلب ياءً شبه حركة وتبقى دالة على المتكلم، وقد تثبت ياء المتكلم رسماً وتحذف لفظاً في درج الكلام، ومن هنا لم يتضح مقصودهم من الإثبات، وما من شك أنّ طبيعة الرسم العربي قد أوقعت القدماء في لبس، فوقعوا في الخلط بين أصوات المدّ وأصوات اللين في بعض المواطن التي عالجوا فيها تلك الأصوات، وقد أوقعهم في ذلك وجود أصوات المدّ (الحركات الطويلة) في بناء الكلمة، أما الحركات القصيرة فقد هُمّشت وعوملت معاملة ثانوية لوقوعها خارج بناء الكلمة في الرسم.

إن هذا الفهم المتأثر بالرسم قد أدى إلى لبس في فهم حقيقة الحذف والإثبات، وفي حقيقة الفتح والتسكين؛ مما رتب على ذلك وجود بعض الآراء المتناقضة التي أخذها بعض الباحثين مسلمات لا خلاف فيها مع أن النظرة الصوتية تكشف عن هذا اللبس وتجليه للعيان، وهذا ما سيقف عليه هذا البحث في المطالب الثلاثة الآتية: فسيعرض المطلب الأول حقيقة الياء بين المدّ واللين، وفي المطلب الثاني سأعرض للياء في القرآن بين الحذف والإثبات، أما المطلب الثالث فسأناقش فيه (الياء في القرآن) بين القلب والتسكين مبيناً الفرق بين المدّ والتسكين وما يقع في ذلك من لبس في المصطلح والتوظيف.

إن ما قدمه السلف من علمائنا الأجلاء يمثل أرضا صلبة نقف عليها وعلينا أن ننظر إلى إنجازاتهم في ضوء زمانهم وأدواتهم، فما قدمه هؤلاء العلماء يمثل رصيدنا الفكري الذي ننهل منه وهو ما نفاخر به الأمم.

المطلب الأول
حقيقة الياء بين المدّ واللين

تمثل الكتابة عند العرب مرحلة حضارية، وهي منجز من منجزات التطور الحضاري الذي شكل أداة نقل العلوم والمعارف لتبقى على مر الزمن.

ولما كانت الكتابة والرسم عملاً بشرياً فمن الطبيعي أن يكون هذا العمل منقوصاً؛ ولذلك فقد سُجلت بعض المآخذ على الرسم العربي، وما زلنا نواجهها، وتمثل نمطاً من التناقض، وعائقاً يحتاج من علمائنا وقفة جريئة تصوب ما داخله من خلل وتتابع مسيرة تطويره.

إن المتأمل في الرسم العربي قد يلمح نمطاً من الازدواجية، وذلك في وجوه كثيرة: فالفروق التي تعامل بها العرب بين الصوامت والصوائت تمثل ملمحاً واضحاً في الازدواجية؛ إذ الصوامت عندهم هي المقدمة، وهي الأساس، أما الصوائت فهي ثانوية (في الرسم) وتتضاءل قيمتها إذا ما قورنت بالصوامت، وأحسب أنّ السبب في ذلك هو عدم

وجودها في بناء الكلمة رسماً، ومع علمهم بأهمية الصوائت ودورها في الاشتقاق، وتوليد المعاني إلا أنها بقيت دون الصوامت. ومما يؤخذ على الرسم العربي نطق بعض الأصوات وعدم تمثيلها في الرسم أو العكس مع أنّ بعض هذه المآخذ لا يخلو منها الرسم عند غير العرب أيضاً.

ومن العيـوب أيضاً وضع رمز كتابـي واحد لصوتين مختلفين كما هو الحال في رمزي (الياء والواو) المديتين، والياء والواو حال كونهما صوتي لين، وقد أدى رسم هذين الصوتين إلى حدوث لبس تراكمت بسببه جملة من النتائج والآراء التي قد لا تتفق ومعطيات التعليل اللغوي الحديث، وذلك بسبب توحيد الرمز وتعدد المدلول، وقد وقف العلماء المحدثون على هذه القضية وفرقوا بين رؤية المتقدمين ورؤيتهم، وممن أشار إلى ذلك، وحاول كشف الغموض الذي يكتنف حقيقة هذين الصوتين (كمال بشر) إذ يقول: "تطلق الواو والياء في اللغة العربية قديمها وحديثها على مدلولين صوتيين مختلفين فهما اسمان ورمزان كذلك للواو والياء في نحو: وَلَد، يَلد، كما يدلان ويصوران أيضاً الواو والياء في نحو: نتلو، نرمي، وهما في الحالة الأولى يعرفان في الدرس الصوتي الحديث بأنصاف الحركات ... يعدان وحدتين أو عنصرين في نظام الأصوات الصامتة، أما في الحالة الثانية فهما حركتان، ونعني بهما الضمة والكسرة الطويلتين..."[6].

لقد أدى وجود رمز واحد للياء ونطقين مختلفين إلى تراكم جملة من الآراء والنتائج التي يرفضها الدرس الصوتي الحديث؛ فبعضهم يصف ياء المد أنه صوت ساكن، وياء المد صائت وليس صامتاً، أي إنّ هذا الصوت حركة طويلة فكيف يوصف بالسكون؟ وأحسب أن نظام الرسم الذي أعطى الحركات القصيرة رموزاً مغايرة للحركات الطويلة (أصوات المد) كان السبب في هذا الخلط، يقول غانم الحمد: "ولعل النظام الكتابي العربي ترك أثراً في وصف حروف المد بالسكون، فتخصيص رموز لهذه الأصوات، وعلامات للحركات، جعلهم يعاملون حروف المدّ معاملة الحروف الأخرى التي تعتقب عليها الحركات الثلاث والسكون"[7].

ومما وقع فيـه المتقدمون قولهم: إنّ حروف المدّ مسبوقة بحركات من جنسها، وما علموا أنهم في رأيهم هذا قد أتبعوا الحركة الحركة، والحركات لا تتتابع، ولا يبدأ المقطع بحركة، ولو كانت الياء في مثل (مسلمين) مسبوقة بكسرة لكانت الياء بداية مقطع وهي حركة طويلة، وهذا ما لا يجوز؛ لأن من قال بجواز بداية المقطع بحركة إنما أورد ذلك في سياقات أخرى، وليس في مثل هذا السياق.

ولم يقتصر الخلط على فريق من الفريقين: اللغويين والقراء، بل قال به كلا الفريقين؛ يقول ابن يعيش – مردداً قول من سبقه-: "اعلم أن ياء المتكلم حكمها أن يكسر ما قبلها نحو قولك: غلامي وصاحبي ودلوي، وإنما وجب كسر ما قبل ياء المتكلم، ليسلم الياء من التغيير والانقلاب، وذلك أن ياء المتكلم تكون ساكنة، ومفتوحة"[8]، وهم لا يقفون عند القول بوجود كسرة قبل الياء، بل يذهبون إلى تفسير وتعليل وجود هذه الكسرة، وأحسب أنهم قاسوا وجود الكسرة قبل ياء المد (الصائت الطويل) التي توجد في أذهانهم وليست موجودة في الحقيقة، قاسوها على الكسرة الموجودة قبل الياء عندما تكون الياء محركة بالفتح كما في مثل:غلاميَ وبيتيَ، وهذا القياس مغلوط؛ إذ الياء المحركة بالفتح ليست ياء المد أو الصائت الطويل، وهو ما وصفوه بالسكون؛ فالياء المحركة بالفتح هي نصف الحركة، وهو الصوت الذي أطلق عليه القدماء صوت اللين، أو ما نسميه في علم الأصوات الحديث (نصف الحركة أو شبه الحركة).

وإذا كان اللغويون قد خلطوا في هذا الأمر فإن علماء القراءات لم يسلموا من هذا الوهم؛ فهذا (مكي ابن أبي طالب) –على ما يتمتع به من معرفة لغوية –

يقول في حديثه عن تصرف الكلام وجريانه عند التقاء الساكنين: "أن تحذف الساكن الأول من كلمتين، إذا كان حرف مدّ ولين، فتحذفه لالتقاء الساكنين، ويبقى ما قبله من الحركة يدل عليه، وذلك قولك: يقي الرجل، وقوا الرجل، وذا المال. . وسهل الحذف لأن الحركة التي كانت قبل المحذوف تدل عليه"[9]. وقد علق غانم الحمد على هذا الرأي قائلاً: "وإذا كان هناك ما يؤخذ على كلام الأئمة هذا من تعبيرهم بالسواكن عن الحركات الطويلة، واعتقادهم أنّ حرف المدّ واللين قد حُذف، وأن هناك حركة قصيرة قبله تدل عليه، والحقيقة أنه قد قُصر ليتحول المقطع المديد المقفل بصامت (ص ح ح ص) إلى مقطع طويل مقفل (ص ح ص) جرياً على عادة اللغة العربية في بناء مقاطع الكلام"[10].

وإذا كان المتقدمون على قناعة مطلقة أن أصوات المدّ مسبوقة بحركات من جنسها، فإنّ المحدثين –على الإطلاق– يرفضون ذلك؛ فهذا كمال بشر يعلن صراحة خطأ القدماء في ذلك، وينص صراحة على أنّ أصوات المدّ حركات طويلة[11].

ولم يقف كمال بشر عند التنظير في تفريقه بين أصوات المدّ (الحركات الطويلة) وأصوات اللين (أنصاف الحركات)، بل وقف على الفروق النطقية بين هذه الأصوات من حيث قلة وضوح أصوات اللين (أنصاف الحركات) سمعياً قياساً بالحركات الطويلة، إضافة إلى أنّ الفراغ بين مقدم اللسان والحنك الأعلى في نطق الياء أضيق منه في الكسرة الطويلة، هذا إضافة إلى الخواص الوظيفية[12].

أما (سمير استيتية) فقد وقف على الفرق بين هذين الصوتين وقفة علمية دقيقة تفرق بينهما من جانب، وتفسر تحول نصف الحركة إلى الحركة، وربما يكون ذلك سبباً من أسباب الخلط بين هذين الصوتين، إضافة إلى أنّ كلاً منهما يحمل الرمز نفسه في الرسم[13]. وواضح أن (استيتية) يفرّق بين ياء المدّ (الحركة الطويلة) وياء اللين (نصف الحركة)، فالمسافة بين اللسان والحنك الأعلى تضيق في نطق (نصف الحركة)، وهذا ما يؤدي إلى وقوع الشبه في وجود صفة الاحتكاك، أما في نطق (الحركة الطويلة) فالمسافة تزيد قياساً معها في نطق (نصف الحركة)، والمدة الزمنية تطول.

ولم يقف الأمر عند المتقدمين على الخلط بين أصوات (المدّ وأصوات اللين) في الرسم، بل وقع الخلط بينهما في جوانب أخرى، وقد أشار (جعفر عبابنة) إلى عدم تمييز بعض المتقدمين بين أصوات المدّ وأصوات اللين، وأنهم يجمعونهما في اللفظ بقولهم: (حروف المدّ واللين). وقد يشيرون إلى اللين بالمدّ أو العكس[14]، أي أنهم (أي القدماء) قد وحدوا الرسم بين هذه الأصوات وهذا خلل، ونظروا إلى وظيفتها على أنها واحدة، وهذا خلل آخر أدى إلى وقوع خلل في آرائهم وأحكامهم الصرفية، وقد نبه (جعفر عبابنة) على ذلك بقوله: "واضح إذاً أنّ المحدثين لا يقبلون كثيراً من حجج القدماء، والأسس التي انطلقوا منها في بعض معالجاتهم الصرفية، مثل مساواتهم في النظرة بين حروف المدّ واللين، ومثل القول بأن حروف المدّ ساكنة، وأنها مسبوقة بحركات من جنسها، وأنّ الحركات التي تصوروها تسبق حروف المدّ يمكن أن يتصرف فيها بالحذف والنقل، أو حذفها واختزانها لتظهر في مواقع جديدة بعد تطبيق قواعد معينة" [15]. ويفهم من كلام (جعفر عبابنة) أنّ فكرة الإعلال بالنقل، والتسكين تحتاج إعادة النظر، وهذا صحيح ومعلل بأن الفكرة بنيت على أساس مغلوط فجاءت النتائج مشوبة بالخطأ.

إن تتبع آراء العلماء من المتقدمين والمحدثين في حقيقة الياء يبين أن القدماء قد خلطوا بين ياء المد (الحركة الطويلة)، وياء اللين (شبه الحركة)، وقد جاء هذا الخلط في المصطلح حيناً، وفي الوظيفة والمصطلح حيناً آخر. أما المحدثون فقد فرّقوا بين

هذين النمطين من الأصوات وإن كان الرسم واحداً، ومع أن الاختلاف بين ياء المدّ والياء شبه الحركة واضح في النطق والوظيفة، إلا أنّ الفضل في هذا التفريق يعود إلى أدوات عصرنا الحاضر وما جدّ فيه من تطور، وممن وقف على التفريق بين أصوات المدّ (الحركات الطويلة) وأصوات اللين (أشباه الحركات) (عبد الرحمن أيوب) إذ يقول: "ومن الناحية الأدائية نجد أن النطق بنصف الحركة في مثل (يد) و(ولد) يتطلب تضييق مجرى الهواء، ثم استمرار التضييق مدة ما، ثم إطلاق الهواء حراً، وهذا ما يحدث فعلاً عند النطق ببعض السواكن"(16)، أي إنّ مجرى الهواء في نطق (ياء المدّ) أوسع منه في شبه الحركة.

ومما يبين الفارق بين ياء المد (الحركة الطويلة) والياء (شبه الحركة) أن ياء المد لا تقع بداية مقطع، وهي حركة لا تحرّك، ولذلك فإنّ القول إنها ساكنة قول مغلوط؛ لأنّ الساكن هو ما يمكن أن يحرّك، أما الياء (شبه الحركة) فإنها تقع بداية مقطع وتحرّك وتسكن، وقد أشار (عبد الغفار حامد هلال) إلى وهم القدماء في فهمهم للحركات الطويلة وفرقها عن أشباه الحركات، وأشار إلى ما جرّه عليهم الخط من أخطاء في إنزالهم أصوات المدّ منزلة الصوامت، وتهميش الحركات القصيرة لدرجة أنهم عاملوها على أنها غير موجودة بين صوامت الكلمة(17).

ومما عالجه المحدثون نخلص إلى عدة نقاط تبين الفروق بين ياء المدّ (الحركة الطويلة) وياء اللين (شبه الحركة) وهي:

1- أنّ ياء المدّ (الحركة الطويلة) تختص بوضعية نطقية مغايرة لوضعية (ياء اللين)، وهذا الفارق مختلف فيه بين التضييق والاتساع.
2- لا تسبق ياء المدّ (الحركة الطويلة) بأي حركة ولا تتبعها الحركة؛ لأنها حركة، والحركات لا تحرّك ولا تتتابع، أما ياء اللين فتحرك وتسبق بحركة.
3- لا تقع ياء المد (الحركة الطويلة) بداية مقطع، أما ياء اللين (شبه الحركة) فيجوز أن تقع بداية مقطع لأنها صامت بوصفها تحمل الحركة.
4- أنّ ياء المدّ (الحركة الطويلة) قد تقصر ويؤثر تقصيرها في بناء المقطع ونوعه، أما (الياء شبه الحركة) فإنها لا تقصر بل تنطق على ما هي عليه أو نمدها زمنياً مع الإبقاء على خصوصيتها النطقية، وهذا التقصير الزمني لا يؤثر على البناء المقطعي وتنوعه. وقد تحذف الياء (شبه الحركة) كلياً ولكن لا تقصر.
5- لا تخضع ياء المد (الحركة الطويلة) لما يسمى بالإدغام؛ لأنها حركة طويلة والإدغام للصوامت، أما الياء (شبه الحركة) فتدغم.

ومما سبق يتبين أن الياء في حقيقتها صوتان مختلفان كلياً كما بينت سابقاً.

أما ما وقع من توحيد النظرة لهذه الأصوات فقد كان السبب فيه يعود لطبيعة الرسم العربي الذي تعامل مع رمز كتابي واحد لصوتين مختلفين هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن بعض الشبه بين هذين الصوتين، وإمكانية تحول كل منهما إلى الآخر قد كان من الأسباب التي أدت إلى وقوع اللبس.

ولما كانت حقيقة صوت الياء على هذا الواقع، فسأناقش حذف الياء وقلبها وتسكينها في المطلبين اللاحقين على أساس اختلاف الصوتين نطقياً ووظيفياً، وليس على أساس وحدةالرمز الكتابي الذي أوجده الرسم العربي، وسيظهر البحث في المواطن اللاحقة حقيقةالياء عندما تكون (مدية)، وحقيقتها عندما تكون (شبه حركة)، وكيف يختلف أثر كل صوت في بناء الكلمة، والتغيرات المقطعية التي تطرأ تبعاً للحذف، والقلب، والتسكين، وذلك تطبيقاً على ياءات القرآن الكريم.

المطلب الثاني
ياءات القرآن بين الحذف والتقصير

إن المتتبع للدراسات التي نبهت على حذف الياء في القرآن الكريم يجدها تشير إلى الحذف، ولا تشير إلى التقصير، وهذا فهم يداخله الخلل، ويدل على إصرارهم على النظر لأصوات المدّ على أنها صوامت يمثل كل منها كتلة واحدة لا تُجزّأ، وهذا فهم فيه نظر.

لقد وقف العلماء على ياءات القرآن وقسموها إلى قسمين هما: ياءات الإضافة، وياءات الزوائد، وقد عرض ابن الجزري هذا التقسيم قائلاً: "وياء الإضافة عبارة عن ياء المتكلم وهي ضمير يتصل بالاسم والفعل والحرف، فتكون مع الاسم مجرورة المحل، ومع الفعل منصوبته، ومع الحرف منصوبته ومجرورته بحسب عمل الحرف ... وقد أطلق أئمتنا هذه التسمية عليها تجوزاً مع مجيئها منصوبة المحل غير مضاف إليها نحو: (إني وأتاني)، والفرق بينها وبين ياءات الزوائد أنّ هذه الياءات تكون ثابتة في المصحف وتلك محذوفة. وهذه الياءات تكون زائدة على الكلمة؛ أي ليست من الأصول، فلا تجيء لاماً مع الفعل أبداً فهي كهاء الضمير وكافه ... وياء الزوائد تكون أصلية وزائدة ... وهذه الياءات الخلاف فيها جار بين الفتح والإسكان، وياءات الزوائد الخلاف فيها ثابت بين الحذف والإثبات"[18].

إن المدقق في تصنيف المتقدمين لياءات القرآن قد يجد لبساً في التسمية، فياء الإضافة ليست دائماً للإضافة، وياءات الزوائد قد تكون أصلية وقد تكون زائدة، والحقيقة أن أهم ملمح يفرق بين الصنفين هو ما ورد في النص السابق أنّ الخلاف في ياءات الإضافة يجري بين الفتح والإسكان، أما الخلاف في ياءات الزوائد فثابت بين الحذف والإثبات.

إنّ هدف البحث دراسة الياء في السياقات المتعددة بين الحذف والقلب والتسكين، وليس تصنيفها من حيث الإضافة والزيادة، ولذلك فإن الياء المحذوفة في هذا المطلب هي مدار الحديث لإظهار حقيقة ذلك الحذف وتعليله.

يقول مكي في الكشف: "اعلم أنّ جميع ما اختلف القراء فيه، من الياءات الزوائد، التي لم تثبت في خط المصحف، إحدى وستون ياء، كلها زوائد على خط المصحف، وهي على ثلاثة أقسام: قسم من ياءات الإضافة التي تصحبها النون، وذلك إذا اتصلت (الأسماء)*، نحو هداني واتقوني واخشوني، وقسم لا تصحبها النون، وذلك إذا اتصلت بالأسماء نحو: وعيدي ونكيري، ونذيري وشبهه، فهذان قسمان، الياء فيهما ياء إضافة، أصلها الزيادة. والقسم الثالث من الزوائد أن تكون الياء فيه أصلية، لام الفعل، وذلك نحو: الداع والهاد والواد وشبهه. وكلها حذفت الياء فيها من المصحف استخفافاً لدلالة الكسرة التي قبلها عليها، وهي لغة للعرب مشهورة، فيها الحذف لهذه الياءات ... فيحذفون الياء لدلالة الكسرة عليها ولسكونها[19].

لقد أشرت في المطلب الأول إلى فهم المتقدمين أنّ أصوات المدّ (الياء والواو) الحركات الطويلة مسبوقة بحركة من جنسها، وذلك مثل الياء في: سعيد، جميل، وعظيم، والواو في: يقول، ويسوق، وهذا الفهم أوقعهم في جملة من الأمور، فالقول إنّ الياء مسبوقة بكسرة يعني أن الياء هنا شبه حركة وهذا غير دقيق، فهي حركة طويلة، ولو كانت مسبوقة بكسرة لوقع تتابع للحركات وهذا خطأ آخر.

أما قولهم إن الياء مسبوقة بكسرة فلا ينحصر في قلة منهم، بل يكاد هذا الرأي أن يمثل موطن إجماع لدى المتقدمين من لغويين وقراء [20]، وهذا الرأي وإن كنا لا نوافقه إلا أنه يمثل زمانهم وأدواتهم، ولا يؤخذ عليهم سلباً بقدر ما هو إظهارٌ للرأي الحديث.

وفي نص الكشف السابق جملة قضايا تمثل مدار الحوار ومرجعيته، علماً أنه لا ينفرد في هذه القضايا بل يتقاطع مع غيره، ولم يكن السباق لذكرها، إلا أنني جعلته المرجعية والأساس الذي ينطلق الحوار منه، بوصفه يجمع بين علمي اللغة والقراءات، فهو قارئ ولغوي، ومؤلفاته وآراؤه تؤكد ذلك.

إنّ قول مكي بوجود كسرة قبل الياء في الأمثلة التي ذكرها في نصه السالف قول فيه نظر، إذ الياء في الأمثلة المذكورة ليست إلا كسرة طويلة، يقول (غانم الحمد): "ومما حمل علماء السلف على القول بسكون حروف المد، ووجود حركة من جنسها قبلها، بالإضافة إلى تقاليد الكتابة العربية – الوظيفة الصرفية والنحوية لحروف المد وما يترتب على ذلك من صور للتحليل الصرفي لبنية الكلمات المعتلة، وكذلك أشكال التركيب النحوي وأثرها على سلوك تلك الحـروف في التركيب"[21].

وإذا كانت (الياء) في أمثلـة (الكشف) السابقـة: (هداني واتقوني واخشوني، ووعيدي، ونكيري، ونذيري، والداعي، والهادي) ليست إلاّ حركة طويلة، وليست مسبوقة بكسرة بل إن القول بذلك وهم ساور العلماء، وامتد زمناً طويلاً فلا بد أن يعلل حذف الياء بفهم آخر خلافاً لما ساد عند العلماء.

إن الحذف الذي يصيب الياء قد يقع على نمطين هما: الحذف الكلي الذي لا يبقي من (الياء) الحركة الطويلة أي شيء، وقد ورد منه في القرآن الكريم جملة من الآيات القرآنية، وهذا النمط ينحصر في الياء المسبوقة بنون الوقاية، والياء في آخر الكلمة وذلك في حالة الوقف، "فقد أشار اللغويون والقراء إلى حذف الياء المسبوقة بنون الوقاية في آخر الكلمة من مثل: **[... فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ]**[15: الفجر]، و**[... فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ]**[16: الفجر] ، فقد اختلف عن بعض القراء، (أكرمن وأهانن) أثبتهما وصلا المدنيان وأبو عمرو، وبخلاف عنه على ما ذكر في باب الزوائد"[22].

وقد نص بعض العلماء على الحذف الكلي، كما ورد في حجة أبي علي بقوله: "وقال عباس: سألت أبا عمرو فقال: (أكرمنْ)، و(أهانن) وقف، وقال أبو زيد: (أكرمنْ)، و(أهانن) مجزومتا النون، محذوفتا الياء، وقال أبو الربيع عن أبي زيد عن أبي عمرو: (أكرمنْ)، و(أهانن) يقف عند النون" [23]، وقد يظهر حذف الياء (الحركة الطويلة) للوهلة الأولى غير مقبول، إلا أنه (أي الحذف) يقع كلياً في حالة الوقف، ولكنه لا يقع كلياً في آخر الكلمات في الوصل، وهنا أشير إلى رأي سيبويه في وقوع الحذف وكراهيته بقوله: "وقد قرأ أبو عمرو: **[فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ]** و**[رَبِّي أَهَانَنِ]** على الوقف، وقال النابغة:

إذا حاولـت في أسد فجـوراً

فإني لسـت منك ولسـت منْ

يريد مني. وقال النابغة:

وهم وردوا الجفار على تميم

وهم أصحابُ يومِ عكاظ إنْ

يريد إنّي. . . وترك الحذف أقيس"[24].

وما يظهر من علماء القراءات واللغويين أن الياء في قراءة أبي عمرو، وفي بعض لغات العرب، كما ورد في أشعار النابغة تحذف كلياً، وهنا واضح أنها تحذف عندما تقع نهاية الكلمة ومسبوقة بنون الوقاية.

أما وقوعها نهاية الكلمة فإن الوقف يساعد على حذفها؛ لأن الوقف يعمل على إخفاء الصوت لانقطاع الهواء تدريجياً إلى أن تصل الوقف الكلي. والحقيقة أن العامل الرئيس المساعد على الحذف ليس الوقف، بل وجود نون الوقاية هو ما يساعد على الوقف، حيث يسهل حذف الياء بعد نون الوقاية في الوقف وهذا يوجد في مواطن أخرى كثيرة من الآيات القرآنية، ومثالهــا: **[الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِي ـــنِ]**[78: الشعراء] ، **[وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ]**[79: الشعراء] ، **[وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ]**[80: الشعراء].

إن وجود نون الوقاية يخفف اللبس الذي قد يقع بسبب حذف الياء، بل إن وجود النون يساعد على الحذف، فلو حُذفت الياء كلياً ولم يبق ما يدل عليها، فإنّ النون دليل على وجود الياء وإن حُذفت، ومن هنا فإن حذف الياء لا يمثل لبساً، والنون علم على الياء وإن حُذفت.

وإذا كان سيبويـه يرى تـرك الحذف فهذا الاستراباذي يفضل الحذف، ويشير إلى صوت النون الذي يمثل قرينة على وجود الياء وإن حذفت، إذ يقول: "وأما ياء المتكلم الساكنة فإن كانت في الفعل فالحذف حسن؛ لأن قبلها نون عماد ومشعراً بها، كقوله تعالى: **[فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ]** و**[رَبِّي أَهَانَنِ]**، وإن كانت في اسم فبعض النحاة يجوّز حذفها، والوقف على الحرف الذي قبلها بالإسكان، نحو (غلامْ)[25]. فإذا جاز الوقف على الميم ساكنة في غلام، فالوقف على النون في (أكرمن) و(أهانن) وأمثلتها أولى، والنطق به ميسر ومستساغ اعتماداً على النون، إضافة إلى السياق، فإذا سهل النطق بالنون والوقف عليها من جانب صوتي، وإذا كان النون مشعراً بالياء، إضافة إلى ما يوحي به السياق بوجـود الياء وإن كانت محذوفة، فـإن الحذف يسهل مع الإحساس بوجود الياء لوجود القرائن الدالة عليها.

وقد تحذف الياء وقد تثبت في النص القرآني لما يسر الله من أدائه بتعدد القراءات، فقد جاء في النشر: "(اكرمن وأهانن) أثبتهما وصلاً المدنيان وأبو عمر وبخلاف عنه ... وفي الحالين يعقوب والبزّي"[26].

إن الحذف الكلي للياء وارد عن أبي عمرو وعن غير واحد من العلماء والرواة، فقد ورد – إضافة إلى من ذكر سابقاً– قول ابن مجاهد: "وقال علي بن نصر: سمعت أبا عمرو يقرأ (أكرمن) و(أهانن) يقف عند النون ..."[27]. وأحسب أن حذف الياء، والوقف على النـون حقيقة واقعة في الأداء القرآنـي، وبعض النصوص الشعرية والنثرية.

وإذا كان الحذف الكلي (للياء) قد ورد في بعض الآيات القرآنية، فإن الحذف الجزئي قد ورد في كثير من الآيات سواء أكان ذلك في رؤوس الآيات أم في درجها، وقد يقع الحذف الجزئي عندما تكون الياء مسبوقة بالنون، وعندما تكون مسبوقة بصوت آخر من الصوامت.

إن الحذف الجزئي لا يصيـب إلا (الحركات الطويلة)، وهو تقصير لهذه الحركات، والياء إحداها، أما ما درج عليه المتقدمون من أن الياء حُذفت، وبقيت الكسرة قبلها دليلاً عليها، فهذا فهم مغلوط عرضته فيما سلف، وسأقف هنا على هذا الحذف مبيناً ما فيه من آراء.

لقد ساد الفهم عند معظم اللغويين والقراءالمتقدمين أن الياء المحذوفة مسبوقة بكسرة، فقد جاء في شرح التصريح: "في أحكام المضاف للياء الدالة على المتكلم: (يجب كسر آخره)، أي المضاف، لمناسبة الياء سواء أكان صحيحاً (ك: غلامي) و(عبدي) أو شبيهاً بالصحيح كـ (دلوي) و(ظبيي)" [28]. وهذا فهم مغلوط، فالياء ليست إلا كسرة طويلة تحذف كلياً في بعض المواطن، وتحذف جزئياً في مواطن أخرى، وما يبقى منها هو ما توهمه العلماء أنه كسرة قبل الياء المحذوفة.

أما مواطن الحذف الجزئي فقد جاءت على النحو الآتي:

قد تحـذف الياء (أي تقصـر) وهي آخر الآية مسبوقة بالنون، ومثال ذلك: **[لاَ تَفْضَحُونِ]**[68: الحجر]، و**[وَلاَ تُخْزُونِ]**[69: الحجر] ، وقولـه تعالـى: **[رَبِّ ارْجِعُونِ]**[99: المؤمنون]، فحذف الياء (الحركة الطويلة) في مثل هذه الآيات مجرّد تقصير لياء المد، ولا يوجد قبلها كسرة، وما الكسرة الباقية إلا الجزء المتبقي بعد التقصير. وقد أشار غانم الحمد إلى ذلك بقوله: "وكما كان تناسب الفواصل أو رؤوس الآي عند الوقف عاملاً في زيادة أصوات على آخر بعض الكلمات، مثل (السبيلا ... وحسابيه)، كان أيضاً سبباً في حذف، أو تقصير أصوات الحركات في أواخر بعض الكلمات في الوقف خاصة، وقد استجاب لذلك كتبة المصاحف، فحذفوا رمز الكسرة الطويلة في معظم ما جاء من ذلك في رؤوس الآي"[29].

وحذفت الياء تقصيراً وهي آخر آية من غير أن تكون مسبوقة بالنون في كثير من الآيات، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: **[فَكَيْفَ كَانَ**

نَكِيرِ[44: الحج] ، **[فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ]**[45: سبأ] ، **[كَانَ نَكِيرِ]**[26: فاطر]، **[فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ]**[18: الملك][30].

إن آخر الآية قد يتطلب الوقف، والوقف يساعد على التقصير في أصوات المد (الحركات الطويلة)، ولذلك وقع الحذف عندما كانت الياء مسبوقة بالنون أو بالأصوات الصوامت الأخرى مثل: عقاب، مآب، وعيد، دعاء، نذير، عذاب، ولي دين.

وقد تقصر الياء (الحركة الطويلة) عندما تكون في حشو الآيات، وقد أورد العلماء حصراً لهذه الياء، ومن أمثلتها قوله تعالى: **[وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ]** [197: البقرة]، فقد جاء في (السبعة في القراءات) لابن مجاهد في آخر عرض سورة البقرة ما نصه: "فأما الياءات المحذوفة من الكتاب لكسر ما قبلها، ففي هذه السورة منهن ست ياءات ... **[إِذَا دَعَانِ]**[186: البقرة]، **[واتَّقُونِ]**[197: البقرة]"[31]، وجاء الحذف أيضاً في جملة من الآيات ومنها: **[يَا عِبَادِ]**[16: الزمر] وهي في حشو الآية وليست في الفواصل.

وقد حُذفت الياء وهي مسبوقة بنون الوقاية ونون الرفع وهي في درج الكلام، قال تعالى: **[أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ]**[36: النمل] ، "فقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو (أتمدونني) بنونين وياء في الوصل ... وقرأ ابن عامر وعاصم والكسائي (أتمدونِ) بغير ياء في الوصل والوقف"[32].

وهناك من حذف وأبقى على نون واحدة مكسورة، وهذا على خلاف بين القراء[33].

ووقع الخلاف في الحشو في قوله تعالى: **[يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ]**[105: هود][34]. وقد علق الفراء على هذه الآية قائلاً: "كتب بغير الياء وهو في موضع رفع، فإن أثبت فيه الياء إذا وصلت القراءات كان صواباً، وإن حذفتها في القطع والوصل كان صواباً، قد قرأ بذلك القراء، فمن حذفها إذا وصل قال: الياء ساكنة، وكل ياء أو واو تسكنان، وما قبل الواو مضموم، وما قبل الياء مكسور، فإنّ العرب تحذفهما وتجتزئ بالضمة من الواو، وبالكسرة من الياء ... ومن وصل بالياء وسكت بحذفهما قال: هي في موضع رفع، فأثبتهما وهي إذا سكت عليها تسكن فحذفتها"[35]. وقد وقف أبو علي على هذه الآية معقباً على الاختلاف فيها قائلاً: "... فمن أثبتها في الوصل فهو القياس البين ؛ لأنه لا شيء ههنا يوجب حذف الياء إذا وصل، فأما حذفها في الوقف، إذا قال: **[يَوْمَ يَأْتِ]**[105: هود] فلأنها؛ وإن لم تكن في فاصلة، أمكن أن تشبهها بالفاصلة، ومن الحجة في حذفها في الوقف أنّ هذه الياء تشبه الحركات المحذوفة في الوصل، بدلالة أنهم قد حذفوها كما حذفوا الحركة، فكما أنّ الحركة تحذف في الوقف فكذلك ما أشبهها من هذه الحروف، فكان في حكمها"[36].

وأحسب أن كلام أبي علي هنا يمثل فكراً لغوياً متقدماً على عصره؛ فهو يعلل حذف الياء هنا وذلك لشبهها بالحركات، أي أنّ حدسه اللغوي ينزل هذه الياء (ياء المد) منزلة الحركات، وإن كان لا يجزم ولا يصرح في نصه، إلا أنّ مضمون نصه يوحي أنه يجعل الحركة وصوت المد في منزلة واحدة، كلاهما قابل للحذف، وقد تجاوزه تلميذه ابن جني عندما قال: "الحركات أبعاض حروف المدّ"[37].

إن المتتبع لآراء المتقدمين حول الحذف، والإثبات يجدهم قد رصدوا الآيات التي يقع فيها الحذف، أما تعليل ذلك فقد جاء مغلوطاً في بعض جوانبه، وضبابياً غير محدد القصد في جوانب أخرى، فالقول إن الياء المحذوفة قد عُوض عنها بالكسرة السابقة لها كلام فيه نظر وهذا نص الفراء يوحي بشجاعة العربية وإعجازها اللغوي في قوله: " ... أثبتت فيها الياء ولم تثبت في غيرها، وكل ذلك صواب، وإنما استجازوا حذف الياء لأن كسرة النون تدل عليها، وليست تهيب العرب حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسوراً..."[38].

مما سبق نجد أن الياء المحذوفة لا تخرج عن كونها (حرف مدّ) أي (حركة طويلة)، وأنها قد تحذف

كلياً في بعض السياقات، وقد تحذف جزئياً في سياقات أخرى، وقد دلل عدد من العلماء على أن هذه الياء حركة طويلة، وأنها ليست مسبوقة بحركة من جنسها كما أشار القدماء"[39]. وهذا ما نبه عليه المحدثون، فقد أشاروا إلى خلط القدماء في هذا الفهم، وقد ترتب على ذلك وجود نتائج مغلوطة"[40].

إن تفريق المحدثين بين ياء المد (الحركة الطويلة)، وياء اللين (شبه الحركة) لم يقف عند الجوانب الصوتية النظرية، بل اشتمل على الجوانب التطبيقية التي رُصدت على المختبرات الصوتية، وقد وضح بعض المحدثين التشابه بين ياء المد والحركة القصيرة؛ فهما تقعان علامة إعراب[41]، وهذا تشابه بين المدّ والحركة في الوظيفة، ومن خلاله نفرّق أيضاً بين الحركة وياء اللين التي لا تقع علامة إعراب.

لقد أشرت سابقاً إلى أن الوقف سبب من أسباب الحـذف، إضافة إلى وجود القرائـن الدالة على المحذوف، أما الحذف في الحشو، وفي درج الكلام فقد علله العلماء بعلة صوتية انعكست على الرسم، فقد أشار (غانم الحمد) إلى ذلك بقوله: "أما إثبات رمز الكسرة الطويلة في آخر الكلمة، فقد خضع لما قد يصيبها من النطق من تقصير يؤدي أحياناً إلى حذف صورتها في الرسم ... وعلينا هنا أن نحاول تحديد العوامل التي أدت إلى ذلك، ويبدو أنها ترجع كلها إلى تقصير الكسرة الطويلة في اللفظ، أو حذفها منه فجرى الكتاب في الرسم على اللفظ" [42]، وما يورده (غانم الحمد) تعليل لغوي صوتي منطقي؛ فالمتكلم قد يقصر الياء أثناء نطقه لما يتبعها من الصوامت، أو لعلة الوقف، وهذا التقصير لم يبق في الإطار الصوتي المنطوق بل انعكس على الرسم، فحذفت الياء، ولا غرابة في ذلك إذا كان الكاتب يستعين بإحساسه ورهافة سمعه فيجد الياء محذوفة في النطق، فيعكس ذلك على الرسم. وقد علق (غانم الحمد) على ذلك مرجحاً الربط بين النطق والتأمل السمعي للمنطوق، ومطابقة صورة المرسوم مع صورة المنطوق، يقول الحمد في نصه: "وتجب ملاحظة أن هذه الظاهرة إنما تكون في الكلام المتصل حين تلتقي حركة طويلة في آخر كلمة بحرف ساكن في أول كلمة تتلوها، فكما كان للوقف أثر في تقصير أو حذف الحركة الطويلة، فإن لوصل الكلام كذلك نفس الأثر في تقصير الحركات الطويلة"[43]. وفي موطن آخر يشير (الحمد) إلى أن سرعة النطق بمقاطع الكلمة يسبب سقوط الحركات النهائية، أو تقصيرها، فتكتب محذوفة الياء وذلك لاتّباع اللفظ"[44].

ولم يلتزم نساخ المصاحف بحذف الياء في السياقات كلها، بل نظر بعضهم إلى الكلمة على اعتبار أصلها منعزلة، وقد أشار بعض العلماء إلى ذلك بقوله: "وقد كان لتناسب رؤوس الآي عند الوقف، أثر في حذف الياء من أواخر بعض الكلمات، في الوقف خاصة. وقد استجاب كتبة المصاحف لحذف الياء في معظم ما جاء من ذلك في رؤوس الآي ... وإن نساخ المصاحف لم يلتزموا بحذف الياء في كل المواضع، لأنهم مترددون بين الالتزام بأصل رسم الكلمة، وهي منعزلة عن سياق الكلام، وبين الاستجابة لنطقها، وهي في درج الكلام"[45].

وهنا أحسب أن الفروق بين أداء العلماء من حيث حذف الياء وإثباتها قائمة على طبيعة الأداء الصوتي الذي يوجد ما يبرر الحذف فيه، أما الحذف في الرسم فهو إما استجابة للنطق، وإما أن ذلك ناتج عن عدم استقرار معالم الرسم وعدم الاتفاق والإجماع على قواعده، وهذا ليس غريباً، فتلك فترة لم يشع فيها التعليم بين العرب لتنتشر الكتابة بينهم بالكتابة فما زالت قليلة الإنتشار ولا تمثل حضوراً واسعاً عندهم.

ومهما يكن فإن الحذف الكلي أو الجزئي يؤدي إلى تغيير البناء المقطعي كماً ونوعاً، سواء أكان الحذف في نهاية الآية أم في وسطها.

المطلب الثالث

قلب الياء وتسكينها في القرآن

القلب الذي أستخدمه هنا في هذه الدراسة يطلق عليه المتقدمون التحريك أو الفتح، أما التسكين الذي أقف عليه هنا فليس المقصود به التسكين الذي ذكره المتقدمون؛ فالتسكين عند المتقدمين يطلق على كل ياء غير محركة سواء أكانت حركة طويلة أم (شبه حركة) ساكنة، والحقيقة أن التسكين يتسم بخصوصية سلب الحركة، فلا هو حركة طويلة، ولا هو قرين المتحرك بل هو على العكس، " ... والحركة إيجاب والسكون سلب الحركة، والشيء إما ساكن أو متحرك، ولا يُجمع بيـن الساكن والمتح ـــرك"[46]، ولا يمكن أن يطلق على الحركة مصطلح ساكن؛ لأن صفة السكون ليسـت لصوت المد الذي هو حركة طويلة.

إن (الياء) موضوع الدراسة، في هذا المطلب، الياء شبه الحركة سواء أكانت محركة أم ساكنة، وقد أشار بعض العلماء إلى فتح الياء أو تسكينها ضمن ضوابط ليست جامعة مانعة، وليست فاصلة، فقد جاء في (معاني القرآن للأخفش): "فإذا لم يكن الحرف ساكناً كنت في الياء بالخيار، إن شئت أسكنتها وإن شئت فتحتها نحو: **[إِنِّيَ أَنَا اللَّهُ]**[30: القصص]، و**[وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا]**[28: نوح]، و**[بَيْتِيَ]**، و**[فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا]**[6: نوح]، و**[دُعَائِي إِلاَّ]**[6: نوح]، وكذلك إذا لقيتها ألف ولام زائدتان، فإن شئت حذفت الياء لاجتماع الساكنين، وإن شئت فتحتها كيلا يجتمع حرفان ساكنان. إلاّ أنّ أحسن ذلك الفتح، نحو قول الله تبارك وتعالى: **[جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي]**[66: غافر]، و **[نِعْمَتِيَ الَّتِي]** [40: البقرة][47]، واضح من نص الأخفش السابق أنه لا يوجد ما يلزم أن تكون (الياء) على وجه واحد.

ولم يترك العلماء (ياءات القرآن) دون تصنيف، بل صنفها العلماء وقسموها إلى عدة أقسام تبعاً لسكونها، أو فتحها، أو المختلف فيه بين الفتح والتسكين، والحقيقة أن هذا التقسيم في الفهم الحديث مغاير لفهم المتقدمين وتقسيمهم، فالياء الساكنة عند المتقدمين هي (ياء المد) الحركة الطويلة عند المحدثين وهي حركة لا تحرك، ولا يطلق عليها ساكن، أما الياء المحركة عند المتقدمين أو المفتوحة فهي عند المحدثين شبه الحركة، وقد أشار ابن الجزري إلى (ياءات القرآن) وأصنافها بقوله: "فاعلم أن ياءات الإضافة في القرآن على ثلاثة أضرب:

الأول: ما أجمعوا على إسكانه وهو الأكثر لمجيئه على الأصل نحو: (إني جاعل، واشكروا لي، وأني فضلتكم ... وجملته خمسمائة وست وستون ياء).

الثاني: ما أجمعوا على فتحه وذلك لموجب إما أن يكون بعدها ساكن لام تعريف أو شبهه ... والضرب.

الثالث: ما اختلفوا في إسكانه وفتحه"[48].

ويشيـر صاحب شرح الكافيـة إلى أن أصل ياء المتكلم الحركة كي لا يبتدأ بالساكن [49]، ويقصد بعدم البدء بالساكن هنا إذا نطق بالياء بوصفها صوتاً منفصلاً فلا عماد له إلا إذا كان محركاً.

إنّ ظاهر الخلاف بين العلماء في فتح الياء أو إسكانها يوحي أن الياء المختلف فيها مجرّد صوت واحد وهو (الياء شبه الحركة)، وهذا الفهم غير دقيق، فصوت الياء المختلف فيه بين الفتح والإسكان ينطوي على صوتين مختلفين هما: (الحركة الطويلة) الممثلة بياء المد، و(شبه الحركة) الممثلة بياء اللين .

لقد سبقت الإشارة إلى أن الياء قد تكون حركة طويلة، وقد تكون شبه حركة، وشبه الحركة قد يكون متحركاً وهو الأكثر، وقد يكون ساكناً، إلا أن علة التسكين أو التحريك أو الإبقاء على الصوت حركة طويلة – وهو ما يطلق عليه القدماء التسكين– أقول إن هذه التغيرات في صوت الياء، وهذا التشكيل فيه غير معلل بما يقنع ويمثل قولاً فصلاً في هذا التغاير، وقد قرئت بعض (ياءات القرآن) بالفتح مرة وبالتسكين مرة أخرى، وبالحذف ثالثة. يقول ابن هشام في أوضح المسالك في حديثه عن المنادى المضاف إلى ياء المتكلم: "وهو أربعة أقسام:

أحدها: ما فيه لغة واحدة، وهو المعتل، فإنّ ياءه واجبة الثبوت والفتح نحو: يا فتاي ويا قاضيَّ.

الثاني: ما فيه لغتان، وهو الوصف المشبه للفعل، فإن ياءه ثابتة لا غير، وهي إما مفتوحة أو ساكنة نحو: يا مكرمي ويا ضاربي.

الثالث: ما فيه ست لغــات ... نحو يا غلامي فالأكثر حذف الياء والاكتفاء بالكسرة نحو: **[يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ]**[16: الزمر]، ثم ثبوتها ساكنة نحو: **[يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ]**[68: الزخرف]، أو مفتوحة نحو: **[يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا]**[53: الزمر][(50)]، فإذا كانت الياء في **[عِبَادِيَ]** تحذف في موطنٍ، وتثبت خطاً ونطقاً في موطن آخر، وقد يقع الاختـلاف في ثباتها ساكنة أو متحرك ــة أو محذوفة في الآية الواحدة مع اختلاف الأداء عند القراء فان هذا يدل على أنّ الأداء القرآني في القراءات المتواترة يمثل تيسيراً على البشرية وإعجازاً لغوياً لتعدد القراءة في المفردة الواحدة، وقد جاء في كتاب السبعة لابن مجاهد في قوله تعالى: **[مِن تَحْتِيَ أَفَلَا]**[51: الزخرف]، فقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير في رواية البزّي: **[مِن تَحْتِيَ أَفَلَا]** بفتح الياء. وأسكنها ابن كثير في رواية القواس وعاصم وحمزة وابن عامر والكسائي "[(51)]. وهنا أقف عند قضية التسكين والفتح لأبين الفارق بينهما.

إنّ التسكين في (ياء) **[تَحْتِيَ]** في الآية السابقة يعني في فهمنا الصوتي الحديث إبقاء الياء كسرة طويلة، وقد تنطق كسرة طويلة مشبعة لا يجتزأ من كميتها، وقد تنطق مختصرة الكمية ولكنها ثابتة رسماً، ولذلك فإن الحكم على سكونها في مثل هذه الآية مغلوط على وجهين: فإذا ثبتت رسماً ونطقاً وهي كسرة طويلة فلا يجوز أن يطلق عليها ساكنة، هذا من جانب، ومن جانب آخر قد تقصر نطقاً وتثبت رسماً ويطلق عليها ساكنة وهذا من جانب آخر.

إن الأصل في الياء في مثل كلمة [تَحْتِيَ] كسرة طويلة، وقد يجري قلب هذه الكسرة إلى صوت آخر وهو صوت الياء شبه الحركة، ومن هنا فليس من الصواب أن نقول إن الياء في (تحتي) محركة بالفتح بل هي ياء شبه حرك قلبت عن الكسرة الطويلة التي هي (ياء المتكلم).

إن نظرة عابرة لا تبين الفرق بين الياء الحركة الطويلة والياء شبه الحركة، ولا بين الياء المحركة بالفتح والياء المقلوبة عن الكسرة الطويلة، وبما أن المطلب الأول من هذا البحث قد حاول التفريق بين ياء المد (الحركة الطويلة) وياء اللين (شبه الحركة)، فلا بدّ من الإشارة لتوضيح المقصود بالياء المفتوحة والياء الساكنة.

إن مفهوم الياء الساكنة عند المتقدمين هو كلّ ياء غير محركة وهذا فهم ينسجم مع الرسم ومع زمانهم وأدواتهم، ولأن ياء المدّ لا تحرك، إلا أن الياء قد تكون (ياء لين) محركة، وقد تكون (ياء لين) ساكنة، ومثال ذلك (محياي، مماتي) في قوله تعالى: **[قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي]**[162: الأنعام]، قد جاء في السبعة لابن مجاهد: "كلهم قرأ (ومحياي) محركة الياء، (ومماتي) ساكنة الياء، غير نافع، فإنه أسكن الياء في (ومحيايْ) ونصبها في (مماتي)"[(52)].

إن الياء في (محياي) سواء أكانت محركة أم غير محركة فهي ياء لين (شبه حركة، أما في (مماتي) فإن الياء إذا كانت محركة فهي ياء لين (شبه حركة)، وإذا كانت غير محركة فهي ياء مد (حركة طويلة). وإن قيل ولم الياء في (محياي) ياء لين (شبه حركة) فالجواب على ذلك في بناء الكلمة، إذ الياء مسبوقة بالألف، والألف حركة طويلة، ومن غير الممكن أن تكون الياء حركة، إذ الحركة لا تتبع الحركة، والحركة لا تحرّك وعلى ذلك فالياء في (محياي) شبه حركة.

أما من حيث جواز إسكان الياء وعدمه فإن الياء في (محياي) يصعب إسكانها في درج الكلام، ولكنه لا يمتنع، وقد وقف النحاس في إعرابه على هذه الآية بقوله: "... وقرأ أهل المدينة (ومحياي) بإسكان الياء في الإدراج، وهذا لم يجزه أحد من النحويين إلا يونس لأنه جمع بين ساكنين، وإنما أجازه يونس لأن قبله ألفاً، والألف المد التي فيها تقوم مقام الحركة ... ومن قرأ بقراءة أهل المدينة وأراد أن يسلم من اللحن وقف على (محياي) فيكون غير لاحن عند جميع النحويين"[53].

والمتأمل رأي النحاس السابق يجده يقترب من المراد، وفي الوقت نفسه يجده بشكل غير مباشر مغايراً لفهمنا، فهو يشير إلى جمع يونس بين ساكنين (الألف والياء) وهذا فهم ساد في زمانهم شئنا أم أبينا وإن كنا لانوافقهم على ذلك؛ لأنّ الألف حركة وليست صامتاً، ومن جانب آخر نجده يفسر رأي يونس تفسيراً علمياً وإن كان لا يفصح بشكل مباشر، وذلك في قوله: "والألف تقوم مقام الحركة"، والحقيقة أنها هي الحركة عينها، ولذلك جاز أن تسكن الياء بعدها.

ومما سبق أخلص إلى أنّ (الياء المفتوحة) هي مرحلة جديدة مر بها هذا الصوت؛ فإذا كانت الياء ليست مسبوقة بحركة من جنسها على فهم القدماء، أي ليست صوت مدّ فهي شبه حركة أصلاً، وذلك كالياء في بيت، وما شاكلها، أي أنها ليست منقلبة عن ياء المد، وكذلك إذا كانت الياء مسبوقة بصوت المد كما في **[وَمَحْيَايَ]**[162: الأنعام]، و **[هُدَايَ]**[38: البقرة]، و**[عَصَايَ]**[18: طه]، فإنها شبه حركة سكنت أو تحركت. أما إذا كانت غير مسبوقة بالمد، بل هي المد عينه فهي حركة طويلة في سياق، وشبه حركة في سياق آخر أو في أدائها على لسان آخر، أي أنها تقلب من ياء المد (الحركة الطويلة) إلى ياء اللين شبه الحركة، وهذا ما يطلق عليه القدماء التحريك.

إن خلاصة القول في (الياء الساكنة أو المنقلبة) في القرآن يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

1) يطلق المتقدمون على الياء (الياء الساكنة) وهي على نمطين:

أ. الياء المدية، وهي إما ياء المتكلم في مثل: (إني، كتابي) أو الياء المدية وهي جزء من بناء الكلمة كالياء في (الداعي، النادي)، ووصف المتقدمين لهذا النوع من الياءات بالسكون وصف غير دقيق؛ وذلك لأن الياء هنا حركة طويلة لا توصف بالسكون، وهي ما يقع عليه الحذف الجزئي أو الكلي. ومنها أيضاً: (جواري) "الرحمن 24"، "والتكوير 16" (والنواصي) "الرحمن 41"، وياء المخاطبة في مثل: (تخضبي، وتكحلي)، "وقد ساوت العربية في ضمير المخاطبة بين الياء والكسرة"[54]. وقد أشار (صاحب أبو جناح) إلى أنّ الاجتزاء بالكسرة عن الياء يقع كثيراً عند هذيل[55]، وهذا أمر طبيعي إذا كان السياق دالاً واللبس غير ممكن.

ب. الياء الساكنة، وهذا النمط يتمثل في الياء الساكنة بوصفها شبه حركة سكنت أو تحركت، ومثاله الياء في (محيايْ) و(محيايَ)، وهذا النمط يمثل صوتاً صامتاً (شبه حركة) حال سكونه أو حركته، ولو تنبه القدماء إلى سكون الياء في (محياي) مقارنة مع سكونها في مماتي لوجدوا الفرق واضحاً بيناً، فالياء في محياي ساكنة ويصعب تحريكها في درج الكلام، وعلة ذلك أنها مسبوقة بالألف (صوت المد)، وهي أي الياء في درج الكلام وليست في الوقف، أما الياء في مماتي فإنها ياء المتكلم (كسرة طويلة) والسكون فيها وهم؛ لأنها حركة طويلة.

2) الياء المنقلبة، (وهي ما يطلق عليها القدماء الياء المفتوحة أو المحركة)، وهذه التسمية لا تدل على أن أصلها هكذا بل حركت بالفتح؛ فالقول إنها مفتوحة أو محركة يشير إلى وجود صفة الصامت فيها أصلاً؛ لأن التحريك لا يكون إلا للصامت، والحقيقة أن هذه الياء

ليست إلا كسرة طويلة، تقع في آخر الكلمة ونهاية الآية كقوله تعالى: [**فَبَشِّرْ عِبَادِ**][17: الزمر]، و [**أَكْرَمَنِ**]، [**أَهَانَنِ**][15، 16: الفجر] . وهذه قد تثبت وقد تحذف، والحذف قد يكون كلياً وقد يكون جزئياً. وقد تقع هذه الياء نهاية الكلمة وفي حشو الآية، كقوله تعالى: [**أَرَهْطِي أَعَزُّ**][92: هود] ، و [**ضَيْفِي أَلَيْسَ**][78: هود]، و[**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**][124: البقرة]، والياء في هذه الآيات كسرة طويلة في رسمها ومرحلتها النطقية الأولى إلا أنها في المرحلة الثانية تسير على وجهين صوتيين هما:

1 -تقلب هذه الياء متحولة شبه حركة، ولأنها في حشو الآية وفي درج الكلام فلا بدّ من تحريكها، ولما كانت الفتحة الأخف والأكثر انسجاماً مع الياء فإنها تحرك بالفتح، وما جرى هو قلب الياء ثم تحريكها لعلة صوتية.

2 -أما الوجه الصوتي الثاني للياء هنا فهو متغير، فقد تثبت رسماً وتحذف صوتاً، وذلك لوقوعها في درج الكلام فيقصر المقطع في مثل هذا السياق كما في قوله تعالى: [**عَهْدِي الظَّالِمِينَ**]، وقد تثبت صوتاً ورسماً إذا كانت في درج الكلام ومتبوعة بهمزة، وثباتها هنا على أنها ياء مدّ (حركة طويلة)، وقد تقلب شبه حركة وهي متنوعة بهمزة أيضاً، وهنا قد يتبادر إلى الذهن تساؤل: ما الضابط أو المرجعية في تحريك الياء أو تسكينها؟ وهل هناك رأي علمي متفق عليه عند العلماء في ذلك؟ وهل التحريك والتسكين منهج تسلكه لغات العرب ولذلك جاء التسكين والتحريك صدىً لما في العربية كما هو الحال في الحذف؟ فقد قال عوض القوزي: "الحذف منهج تسلكه العرب في لغتها، لتعبر عن أغراض خاصة ترمي إليها، وهو أحد أساليب البلاغة عندها ... ولما كانت البلاغة هي الإيجاز، فإنّ الحذف هو مدار الإيجاز، وعادة ما يكون الحذف فيما لا يخلّ بالمعنى ..."[56].

لقد وقفت على بعض الآراء التي أشارت إلى (تسكين الياء وفتحها) كما يطلق عليها المتقدمون، وهنا أذكر بعضها محاولاً استجلاء الغموض الذي يكتنف هذه الظاهرة.

يقول مكي في الكشف: "وكان أبو عمرو يفتح الياء إذا أتت بعدها همزة مفتوحة أو مكسورة، مما اختلف القراء فيه، إلاّ أن تكون الكلمة على خمسة أحرف بالياء أو أكثر، فإنه يسكن الياء تخفيفاً لطول الكلمة نحو: [**حَشَرْتَنِي أَعْمَى**][125: طه] ... وخالف هذا الأصل في ثلاثة مواضع ... "[57]. ونلاحظ اختلاف القراء في ذلك، بل إنّ القارئ نفسه يخالف أصله في القراءة، ومن هنا فإنّ ما أورده مكي من أنّ الياء عند أبي عمرو تفتح إذا كانت متبوعة بالهمز غير شامل، ولا يتسم بالاطراد، وهناك من قال: "إن أصل ياء المتكلم الفتح؛ لأن كلّ كلمة ولو كانت على حرف واحد أصلها الحركة لئلا يبتدأ بالساكن، وهو قول مردود؛ لأنّ الإعراب لا يكون في الكلمة مفردة، بل يظهر الإعراب في التراكيب"[58].

إن القول بعدم جواز بناء الحرف دون حركة كي لا نبدأ بالساكن يدل على فهم مفاده أن الحركة ملازمة للبناء في الحرف والمفردة والتركيب، والحركة المقصودة هنا حركة بناء الكلام وليست حركة الإعراب، ومع ذلك فإنّ الياء لا تحمل قيمة وهي منفردة، بل تأخذ قيمتها اللغوية ودلالتها بوجودها مع المفردة وفي التركيب.

إن تتبع آراء اللغويين والقراء لا يوقفنا على تعليل علمي لفتح الياء أو تسكينها، وقد يقرأ القارئ (الياء) بالفتح ويقرأها مرة أخرى ساكنة وهم في ذلك على وعي من أن الياء في المد واللين من جنس واحد وإن اختلفا في اللفظ، وقد أقرّ أبو عمرو بوجود تعدّد القراءة لدى القارئ نفسه؛ فقد جاء في المحتسب ما نصه: "... قال عباس: سألت أبا عمرو وقرأ: [**ثَانِيَ اثْنَيْنِ**][40: التوبة] قال: قال أبو عمرو: وفيها قراءة أخرى لا ينصب الياء [**ثانيْ اثنين**] قال: أبو الفتح:

يُعمل عليه في هذا أن يكون أراد **[ثانيَ اثنين]** كقراءة الجماعة، إلاّ أنه أسكن الياء تشبيهاً لها بالألف"[59].

إن الياء في (ثاني) ليست للمتكلم، والفتح والتسكين مدار الحديث ليس مقتصراً على ياء المتكلم، بل على الظاهرة بوصفها ظاهرة لغوية، فقد يقع الحذف عليها وهي للمتكلم أو من بناء الكلمة في مثل (الداعي، التنادي).

إنّ البحث عن ضابط مطرد لضبط فتح الياء أو تسكينها ليس حديثاً، ولم يكن وليد هذا العصر، فقد وقف ابن جني على هذه الظاهرة محاولاً تفسيرها، فقال في المحتسب: "ومما يتلقاه عامة من يُسأل عنه بأنه أخذ باللغتين، وسعة باختلاف اللفظين قراءة أبي عمرو: **[وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ]**[20: النمل] بسكون الياء من (ليْ)، وقراءته أيضاً: **[وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي]**[22: يس]، بتحريك الياء، وعلة ذلك ليس الجمع بين اللغتين كما يفتي به جميع من تسأله عنه، لكنه لما جاز الوقف على قوله تعالى: **[وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيْ]**، وأن يستأنف يقول: **[لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ]** سكن الياء من أمارة لجواز الوقف عليها. ولما لم يحسن الابتداء بقوله: **[لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي]** حرّك الياء من (ليَ) أمارة لإدراج الكلام ووصله، وذلك أنّ الحركة من أعراض الوصل، والسكون من أعراض الوقف"[60]، وهذه لطيفة من لطائف أبي الفتح وما أكثرها؛ فقد ربط التسكين أو القلب بالمعنى، وربط المعنى وإنتاجه بحالتي الفصل والوصل، وأحسب أنه قد وفق في هذا التعليل أيما توفيق، وأجاد أيما إجادة إلا أن هذا التعليل إن كان علمياً منطقياً في هذه الآية –وهو كذلك– فإنه لا يمثل معياراً موحداً أو مطرداً ينطبق على (الياء) في كل موطن.

وإذا كان ابن جني قد وقف على هذه الظاهرة من سلفنا الصالح، فإن العصر الحديث لا يخلو من جهد بعض العلماء في هذا الجانب، فقد وقف (سمير استيتية) على هذه الظاهرة محاولاً تعليلها بوصفها ظاهرة لغوية عامة، تخضع لقانون صوتي محدد، ولما لم يجد ذلك فقد طرق باب الظاهرة من جنسها؛ قال معللاً ذلك: "لا توجد علة صوتية مطردة في قراءة ابن كثير تفسر فتح ياء المتكلم في آيات، وعدم فتحها في آيات أخرى ... إن قانون الاختيار يغلب على قانون الاطراد في فتح ياء المتكلم أو عدمه. والاختيار من أهم الأركان التي بنيت عليها القراءات القرآنية، والاختيار في هذه المسألة واضح"[61].

إنّ مصطلح الاختيـار في القراءات لا يعنـي (الانتقائية)، بل إنّ هذه المفردة قد أخذت خصوصيتها في القراءات، وقد ارتقت إلى (المصطلحية)، فالاختيار هو اختيار القارئ المبني على معرفته بالقراءات المتواترة، والقائم على معرفته باللغة، والربط بين علمه بالقراءة المأخوذة بالتواتر والمشافهة ومعرفته اللغوية. وأحسب أن بعضهم قد يفهم الاختيار على أساس الانتقائية والعشوائية والأمر ليس كذلك إذ القراءة وحي وتواتر إلى أن تصل الرسول ε.

ومهما يكن من تعليل للفتح والتسكين فإن اليـاء المفتوحة هي ما يعرف حديثاً ب(شبه الحركة)، وهي إما أصلية بذاتها، ومثالها الياء المسبوقة بالمدّ كما في (محياي)، وهذه قد تكون ساكنة، وقد تكون متحركة، وإما منقلبة عن (ياء المد) الكسرة الطويلة، وأكثر ما يأتي قلبها من كسرة طويلة إلى شبه حركة حال كونها في درج الكلام. أما ما تعارف عليه القدماء من أن (الياء) ليست إلا صوتاً واحداً يسكن أو يتحرك فهذا فهم مغلوط، وما زال بعض الدارسين في زمننا هذا يسير على مسلكهم، وهذا ما يغايره علم اللغة الحديث، وما تثبته الدراسات الصوتية الحديثة.

والله ولي التوفيق،،،

الخاتمة:

جاءت هذه الدراسة لتعالج نظرة العلماء من المتقدمين والمحدثين لياء الإضافة في القرآن الكريم،

وحاول الباحث إظهار حقيقة الياء بين المدّ واللين من حيث المصطلح والوظيفة اللغوية ومفهومها عند العلماء، وقد عرض الباحث وجهة نظر المتقدمين في ياءات القرآن من حيث الحذف والقلب والتسكين، وقد عالجت الدراسة هذه القضايا من وجهة صوتية مبرزة جهود القدماء في هذا المجال في ضوء إمكاناتهم وأدواتهم وزمانهم، ثم عرضت الدراسة جهود المحدثين وفهمهم، والفروق بينهم وبين المتقدمين مع ملاحظة أنّ المحدثين قد أفادوا من جهود القدماء، وجاءت آراؤهم امتداداً لما بدأه السلف من علمائنا مع إبراز التطور الذي ظهر على يد المحدثين بفعل اختلاف الأدوات والتطورات المصاحبة لاختلاف الزمن.

لقد أظهرت الدراسة مفهوم الحذف وأنواعه من جزئي أو كلي إضافة إلى إظهار القرائن الدالة على المحذوف مثل الكسرة ونون الوقاية، وأشار الباحث إلى تحريك الياء مما يؤدي إلى قلبها من حركة طويلة إلى شبه حركة، ثم وقف الباحث على تسكين الياء وذلك بسلب الحركة محاولاً إظهار مفهوم سكون الياء عند المتقدمين والمحدثين والفارق بين الفريقين.

وبعد، فعسى أن تقدم هذه الدراسة إضافة علمية، وحسبي أنني اجتهدت، والله ولي التوفيق.

الهوامش:

---

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنير، (ت180هـ/796م)، **الكتاب**، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، بيروت، عالم الكتب، 1983م، ط3، ج2، ص368-369.

(2) ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي، (ت 883هـ/ 1507م)، **النشر في القراءات العشر**، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي، دون تاريخ، ودون طبعة، ج2، ص161-162.

(3) إبراهيم أنيس (ت 1397هـ/1977م)، **الأصوات اللغوية**، مكتبة الإنجلو المصرية، 1979م، ط5، ص39.

(4) هاني الفرواني، **ظاهرة الاجتزاء في العربية**، الإسكندرية، دار الوفاء، 2005م، ط1، ص123.

(5) عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت577هـ/1181م)، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين، والكوفيين**، عناية وإخراج محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، 1982م، (د. ط)، ج2، ص545.

(6) كمال محمد بشر، **دراسات في علم اللغة**، القاهرة، دار المعارف، 1986م، ط9، ص89.

(7) غانم قدوري الحمد، **المدخل إلى علم أصوات العربية**، المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي، 2002م، (د. ط)، ص173.

(8) يعيش بن علي بن يعيش (ت 643هـ/1245م)، **شرح المفصل**، قدم له: إميل يعقوب، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م، (ط1)، ج2، ص206.

(9) مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ/1045م)، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق: محيي الدين رمضان، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981م، (ط2)، ج1، ص277-278.

(10) غانم قدوري الحمد، **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية**، منشورات اللجنة الوطنية، بغداد، 1982م، (ط1)، ص291.

(11) انظر: كمال محمد بشر، **علم الأصوات**، القاهرة، دار غريب، 2000م، (د. ط)، ص439.

(12) كمال محمد بشر، **علم اللغة العام - الأصوات-**، القاهرة، دار المعارف، 1980م، (ط7)، ص84.

(13) انظر سمير شريف ستيتية، "الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية"، **مجلة البلقاء للبحوث والدراسات**، جامعة عمان الأهلية، مجلد 2، عدد1، 1992م، ص149-151.

(14) انظر: جعفر نايف عبابنة، "التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم"، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، عمان، عدد 66، 2004م، ص47.

(15) جعفر عبابنة، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، عدد 66، 2004م، ص51.

(16) عبد الرحمن أيوب، **أصوات اللغة** ، القاهرة، مطبعة الكيلاني، 1968م، (ط2)، ص176.

(17) انظر: عبد الغفار حامد هلال، **أصوات اللغة العربية**، القاهرة، مكتبة وهبة، 1996م، (ط3)، ص100.

(18) ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي، **النشر في القراءات العشر**، ج2، ص161–162.

* الصواب (الأفعال).

(19) مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، ج1، ص331.

(20) انظر: مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها** ، ج1، ص331. وابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** ، ج2، ص179. وسيبويه، **الكتاب** ، ج4، ص183. وابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، ص 118.

(21) غانم الحمد، **المدخل إلى علم أصوات العربية** ، ص174.

(22) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** ، ج2، ص400. وانظر: ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ص484.

(23) أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت377هـ/987م)، **الحجة للقراء السبعة**، تحقيق: كامل مصطفى الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م، (ط1)، ج4، ص118.

(24) سيبويه، الكتاب، ج4، ص186.

(25) رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت 686هـ/ 1287م)، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزان، محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1982م (د. ط)، ج2، ص300.

(26) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** ، ج2، ص400.

(27) ابن مجاهد أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت324هـ/935م)، **السبعة في القراءات**، تحقيق : شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، 1988م، (ط3)، ص 684. وانظر: مكي بن أبي طالب، **الكشف في القراءات السبع**، ج2، ص374.

(28) خالد بن عبد الله الأزهري (ت 905هـ/1499م)، **شرح التصريح على التوضيح**، تحقيق : محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م، (ط1)، ج1، ص339. وانظر: ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج2، ص11.

(29) غانم الحمد، **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية** ، ص288.

(30) انظر: عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ/1052م)، **التيسير في القراءات السبع**، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985م، (ط3)، ص 158، 182، 183، 213.

(31) ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ص197. وانظر: الداني، **التيسير**، ص86.

(32) انظر: **النشر في القراءات العشر**، ج2، ص400.

(33) أبو علي الفارسي، **الحجة للقراء السبعة** ، ج3، ص236–237.

(34) انظر: ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ص342.

(35) أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ/822م)، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، وعلي النجار، بيروت، دار السرور، 1955م، (د. ط)، ج2، ص 27. وانظر: **إعراب القرآن**، أبو جعفر النحاس، ج2، ص301.

(36) أبو علي الفارسي، **الحجة للقراء السبعة** ، ج2، ص417.

(37) انظر : عثمان بن جني (ت 392هـ/1001م)، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت، د. ط، ج2، ص316. وانظر: سر صناعة الإعراب، ج2، ص630.

(38) الفراء، **معاني القرآن**، ج1، ص90.

(39) جلال الدين السيوطي (ت 911هـ/1505م)، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق : عبد العال سالم مكرم، الكويت، دار البحوث العلمية، 1979م، (د. ط)، ج4، ص 300. وانظر: **شرح المفصل** ، ج2، ص206.

(40) انظر: رمضان عبد التواب، **فصول في فقه العربية**، القاهرة، مكتبة الخانجي، د. ت، (ط2)، ص398. والمدخل إلى علم أصوات العربية، ص174.

(41) انظر: تمّام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م، (ط2)، ص72.

(42) غانم الحمـد، **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية**، ص287.

(43) غانم الحمـد، **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية**، ص292.

(44) انظر: غانم الحمـد، **رسـم المصحف دراسة لغوية تاريخية**، ص294.

(45) صالح محمد صالـح عطية، **رسم المصحف إحصاء ودراسة**، طرابلس – ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، د. ت، (ط1)، ص148–149.

(46) أحمد عفيفي، **ظاهرة التخفيف في النحو العربي**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1996م، (ط1)، ص226.

(47) سعيد بن مسعدة (الأخفش الأوسط) (ت215هـ/830م)، **معاني القرآن**، قدم له وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م، (ط1)، ص60.

(48) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج2، ص162–163.

(49) انظر: عثمان بن عمر (ابن الحاجب) (ت 646هـ/ 1248م)، **الكافية في النحو**، د. ت، بيروت، دار الكتب العلمية، 1982م، (ط3)، ج 1، ص 147. وانظر: **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، مكتبة الخانجي، 1998م (ط1)، ج2، ص922.

(50) عبد الله جمال الدين بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت 761هـ/1360م)، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: حنا الفاخوري، بيروت، دار الجيل، 1989م (ط1)، ج3، ص318–319.

(51) ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ص590.

(52) ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ص274.

(53) النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت338هـ/949م)، **إعراب القرآن**، تحقيق: زهير غازي زاهد، بيروت، عالم الكتب، 1988م، (ط3)، ج2، ص111.

(54) انظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج1، ص91. وظاهرة الاجتزاء في العربية، ص123.

(55) انظر: صاحب أبو جناح، **الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري**، مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة، 1985م، (ط1)، ص57.

(56) عوض القوزي، **الياء المحذوفة في القرآن**، بحث قدم في ندوة تكريمية للدكتور (حسن الشاذلي فرهود)، وهو مخطوط حصلت عليه من د. القوزي، ص2.

(57) مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها**، ج2، ص327.

(58) انظر: الكافية في النحو، ج1، ص147.

(59) أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ/1001م)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبي، القاهرة، مطابع روز اليوسف، 1999م، (د. ط)، ج1، ص289.

(60) ابن جني، **المحتسب**، ج1، ص146–147.

(61) سمير شريف ستيتية، "تحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير"، **مجلة جامعة أم القرى**، مكة المكرمة، عدد 9، 1414هـ/1994م، ص190.